رسالة

القديس أثناسيوس الرسولى

في

معنى المزامير

ترجمة

إيريس حبيب المصرى

رسالة
القديس اثناسيوس الرسولي
في
معنى المزامير

ترجمة
ايريس حبيب المصرى

حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الاسكندرية وسائر اقاليم الكرازة المرقسية

تمهيـــد

فى الغـرب الآن اتجاه واضح نحو العمل على نشر كتب الآباء ، البعض منها يظهر فى أصله جنبا الى جنب مع ترجمته، بينما البعض يظهر فى ترجمته وحدها · وفى نيويورك جماعة رهبـانية باسم بولس الرسـول لديهم مطبعة باسم « مطبعـة البوليست » ، وقد نشروا سلسلة من كتب الآباء آخرها كتاب للأنبا أثناسيوس الرسولى يتضمن سيرة الأنبا أنطونيوس أبى الرهبان ثم رسالة الى مارسللينوس عن المزامير · وقد صدر هذا الكتاب فى ترجمته الانجليزية فقط فى صيف عام ١٩٨٠م وقام بالترجمة اللاهوتى الأمريكى روبرت جريج ·

وقد جاء فى المقـدمة ما يلى : لقـد هـدف أثناسـيوس الرسولى من تصوير حياة معلمه الأنبا أنطونيوس أن يوضح نوعية الحيـاة القدسـية التى يسعى نحـوها طالب الـكمال المسيحى · وللوصول الى هدفه أوضح حامى الايمان القويم أن هذه النوعية ما هى الا سلم يحتم على الراغب فيها الصعود المستمر · وهذا الصعود معنـاه أن الساعى نحو القداسـة يتعرض فى كل درجة أعلى الى سقوط أشد قسوة · وقد وضع القـديس أنطونيوس نصب عينيه وجـوب السعى المتواصل والصـعود المستمر رغم كل المخاطر التى اعترضـته · لذلك نستطيع القول بأنه كان « متحولا » من يوم الى يوم · ولقـد

أنهكه هذا التحول التصاعدى الى حد جعله يرتمى بكليته على قوة السيد المسيح ويتخذ منه السلاح والذخيرة · وهذا الارتكان التام على فاديه أوصله الى التطابق معه مما جعله يعمل أعمال فاديه ـ أى أنه أصبح فى مقدوره شفاء المرضى بل واقامة الموتى أيضا · فالتحول التصاعدى المتواصل جعل من أنطونيوس صورة من السيد المسيح الى حد ما · وليس هناك من بلغ جرأة أثناسيوس الرسولى فى وصفه لرجل أو امرأة سما به (و بها) التحول حتى جعله مخلوقا تأله · ومع جرأته فقد أوضح بجلاء الحد الفاصل بين الكلمة الذى صار جسدا وبين أى انسان استطاع بلوغ التأله عن طريق التحول التصاعدى · فهو قد بين صراحة أن أنطونيوس احتاج الى قوة الله المتأنس ليصل الى التأله فى حين أن الله المتأنس هو الله بطبيعته ارتضى أن يتجسد · فما هو للسيد المسيح بطبيعته قد وهبه لمحبيه بالتبنى ـ وهذا ما عبر عنه كل الآباء الاسكندريين ترديدا لما ورد فى أقوال الرسل من أن فادينا أخذ الذى لنا ليعطينا الذى له ·

وان الصورة المليئة حيوية التى صورها حامى الايمان لمعلمه العظيم ما زالت الى الآن النموذج الأعلى لكل من يستهدف السعى نحو الكمال : انها النموذج الصريح لكل من يتلهف على الوصول الى درجة التأله » ·

هذا ما جاء فى مقدمة الكتاب عن الأنبا أنطونيوس ·

أما خطاب الأنبا أثناسيوس الرسولى الى مارسللينوس فمقدم مع التمهيد له فى الترجمة التالية :

« كانت المزامير فى عهد البابا العظيم متداولة شائعة حتى لقد كان الكثير من المسيحيين يحفظونها عن ظهر قلب ويترنمون بها كأناشيد ذات نغم ووزن · وحين كتب عن استعمال المزامير فى العبادة المسيحية الشخصية أوضح أثناسيوس الكثير مما يتعلق بالخلاص · ونصيحته هى أن كل من يستعمل هذه « الفارماكوبيا » اللامستنفذة يمكنه ان يعمق حياته الروحية لأن المزامير أشبه بالبلسم المرطب للجراح ·

« ولقد حدث أن مرض مارسللينوس ـ وأغلب الظن أنه كان شماسا راهبا ضمن مريدى الأنبا أثناسيوس الرسولى ـ فلما وصل الى دور النقاهة وضع نصب عينيه الهدف الذى هو « فهم المعنى الكامن فى كل مزمور » · ولكى يحقق هدفه كتب الى باباه العظيم · ورد الأنبا أثناسيوس عليه رد الراعى الذى يعطى النصح الروحى والأدبى ، انه رد شبيه بالرسائل الفصحية التى تهدف الى التحذير والتوجيه والتشجيع · ولقد نجح أثناسيوس (شأنه فى ذلك شأنه فى كل كتاباته) فى أن يصوغ المثل العليا المترنم بها فى المزامير صياغة مسيحية » .

✠ ✠ ✠

وبعد هذه المقدمة أورد المترجم خطاب حامى الايمان الى مارسللينوس عن تفسير المزامير ··

خطـــاب

من أبينـا القـديس أثناسـيوس
رئيس أســاقفة الاســكندرية
الى مارسللينوس ٠٠ عن تفسير المزامير

١ ـ انى معجب بسلوكك فى السيد المسيح أيها العزيز مارسللينوس ، فأنت فعلا متحمل هذه التجربة الحالية بنجاح ٠ ومع أنك قاسيت الآلام الكثيرة فيها فأنت لا تهمل التـدريب ٠ لأننى حين استفهمت من حامل خطابك عن أحوالك فى مرضك المستمر علمت أنك مداوم على الدراسة فى كل الكتاب المقدس، ولكنك تقـرأ بالأكثر سـفر المزامير وتحاول تفهم المعنى الذى يتضمنه كل مزمور ٠ وانى أمتدحك اذ أنى أنا أيضا شـديد التعلق بها ـ بالضبط كتعلقى بغيرها من الأسـفار الالهية ٠ وفى الواقع جرى حديث بينى وبين شيخ عالم وأرغب فى أن أكتب اليك تلك الأشياء التى أعلمنى بها ذلك المعلم العجوز عن المزامير ٠ فهناك شىء من النعمة ومن الاقناع مرتبط بتعبيراته المنطقية ٠ **فقد قال :**

٢ ـ ان كل أسفارنا المقدسة القديمة والحديثة هى ـ كما قال بولس الرسول ـ موحى بها من الله ونافعه للتعليم ٠٠٠، ولكن لسـفر المزامير دقة جـذابة خاصة لأولئك الراغبين فى

الصلاة · فكل سفر مقدس يقدم ويعلن رسالته الخاصة · فالأسفار الخمسة مثلا تروى لنا بداية العالم وأعمال البطاركة وخروج اسرائيل من مصر ثم اصدار التشريعات · والأسفار الثلاثة التى تليها تخبرنا عن امتلاك الأرض ومخاطرات القضاة ثم تسلسل أنساب داود · بينما تحكى لنا أسفار الملوك والأيام قصص الحكام ، وعزرا يصف لنا الانطلاق من الأسر وعودة الشعب واعادة بناء الهيكل والمدينة · أما كتب الأنبياء فتتنبأ عن مجيء المخلص وحياته على الأرض وتعاليم الوصايا الالهية والتحذيرات ضد المتعدين بالاضافة الى التنبؤ للأمم · فى حين أن سفر المزامير هو أشبه بحديقة تتضمن أشياء من مختلف الأنواع منسقة فى أطار موسيقى ، وهو يستعرض أيضا أمورا خاصة يقدمها كترانيم ·

٣ ـ انه يترنم بحوادث التكوين فى المزمور ١٩ « السموات تحدث بمجد الله ··· » وفى مزمور ٢٤ : « للرب الأرض وملؤها · المسكونة وجميع الساكنين فيها · هو على البحار أسسها ··· » · بينما يتغنى بالموضوعات الواردة فى خروج وعدد وتثنية فى شىء من الجمال فى المزمورين ٧٨و١١٤ « عند خروج اسرائيل من مصر ويهوذا من شعب أعجم كان يهوذا مقدسه واسرائيل محل سلطانه ··· » ، كما يترنم بهذه الحوادث عينها فى مزمور ١٠٥ حيث قال : « ··· أرسل موسى عبده وهرون الذى اختاره ··· » أما فيما يتعلق بالكهنوت والهيكل فيترنم بهما فى المزمور ٢٩ : « قدموا للرب يا أبناء الله · قدموا للرب أبناء الكباش · قدموا للرب مجدا وكرامة ··· » ·

٤ ـ ثم يشير الى الأمور الخاصة بيشوع وبالقضاة بطريقة ما فى المزمور ١٠٧ : « فيهيئون مدينة سكن ويزرعون حقولا ويغرسون كروما ٠ » لأن أرض الموعد أعطيت فى أيام يشوع ٠ وحين تتردد فى المزمور كلمات « فيصرخون الى الرب فى ضيقهم ومن شدائدهم يخلصون ٠ » فهى تشير الى القضاة ٠ لانهم حين يصرخون يقيم لهم القضاة فى الوقت المناسب ويخلصهم من ضيقتهم وليس من شك فى أن المزمور ٢٠ يترنم بقصص الملوك بقوله : « هؤلاء بمركبات وهؤلاء بخيل ونحن باسم الرب الهنا ننجو ٠ هم عثروا وسقطوا ونحن قمنا واستقمنا ٠ يا رب خلص ملكك واستجب لنا فى اليوم الذى ندعوك فيه ٠ » فى حين أن سفر عزرا يتلخص فى المزمور ١٢٦ ـ وهو أحد مزامير المصاعد ـ اذ يقول : « عندما رد الرب سبى صهيون صرنا مثل المتعزين » كما نجده قبل ذلك فى المزمور ٢٢ حيث يتغنى : « فرحت بالقائلين لى الى بيت الرب نذهب ٠ وقفت أرجلنا فى ديار أورشليم ٠٠٠ »

٥ ـ وان أقوال الأنبياء معلنة فى كل مزمور تقريبا ٠ فافتقاد المخلص للناس واقامته بينهم بوصفه الله يترنم بها فى المزمور ٥٠ بقوله : « الله الهنا يأتى علانية ولا يصمت ٠ » وكذلك فى المزمور ١١٨ بانشاده « مبارك الآتى باسم الرب ٠ باركناكم من بيت الرب ٠ الله الرب أضاء علينا ٠٠٠ » وتوكيدا لكون من يترنم به هو كلمة الآب قال فى المزمور ١٠٧ « أرسل كلمته فشفاهم ونجاهم من تهلكاتهم ٠ » فالآتى هو الله نفسه والكلمة الذى جاء من عنده ٠ ولأن المرنم يعرف أن الكلمة

هو ابن الله فهو يتغنى بهذه الحقيقة منشدا فى المزمور ٤٥ « فاض قلبى بكلمة صالحة » ويعود فيكرر هذا الترنيم فى المزمور ١١٠ « ٠٠٠ من البطن قبل كوكب الصبح ولدتك ٠ » فمن يكون هـذا المولـود من الآب غير كلمته وحكمته ؟ ولأن الأسفار الالهية قد عرفت كذلك انه هو ذاك الذى قال به الآب : « ليكن نور ٠٠٠ ليكن جـلد ٠٠٠ » ولتكن باقى الأشـياء ، فالمزامير تتضمن الترتيل بهذه الحقيقة الجوهرية « بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيـه كل جنودها ٠ » ٠

٦ ـ **وهنا يجب أن نذكر** أن أثناسيوس ـ بتقديمه هـذا التفسير ـ قد نقض بدعتين فى آن واحـد : **الأولى** هى تعليـم الدوسيتيين عن طبيعة السيد المسيح الذين صـوروا المخلص فى ثوب سطحى من جسـد انسانى بينما ظل متسـاميا على الجسد ٠ **والثانية** استبعاد السيد المسـيح عن عمليـة الخلق كما زعم الغنـوسيون الذين نادوا بأن خالق العـالم المـادى هو مخلوق شبه الهى اسمه ديميورج ٠

ويستكمل أثناسيوس توضيحه للترتيل المزاميرى بحقيقـة التجسـد فيقول : ان المزمـور السـابع والثمانين يردد مقدما قول يوحنا الحبيب « وكان الكلمة الله ٠ وبه كان كل شىء ٠ والكلمة صار جسـدا ٠ » ولهـذا السبب عينه ولكون المرنم يعرف أنه سـيولد من عـذراء فانه يعلن فى المزمـور ٤٥ : « اسمعى يا ابنتى وانظرى ٠ وأصغى بسمعك ٠ انسى شعبك وبيت أبيك لأن الملك قد اشـتهى حسنك ٠ » وهنا أيضا نجـد

تناغم هذه العبـارات مع كلمات الملاك غبريال : « السلام لك أيتها الممتلئة نعمة · الرب معك · » وكما أنه أوضح بالفعـل أن المولود من الآب هو السـيد المسيح أسرع فأوضح الميلاد الانسانى من السيدة العـذراء بكلمتى « اسمعى يا ابنتى » وانتبه الى أن الملاك غبريال ينادى مريم باسمها لكونه غريبا عنها فى طبيعـة خلقتـه ، أما داود فيناديها « يا ابنتى » بحق لأنهـا من نسله ·

٧ ـ وبعد أن أعلن المرتل أنه سيصير انسانا استكمل ذلك بتوكيده عدم تغيره فى الجسد · واذ أدرك أن اليهـود سـيتآمرون عليه تغنى فى المزمـور : « لمـاذا ارتجت الأمم وتفكرت الشعوب بالباطل · قام ملوك الأرض وتآمر الرؤسـاء معا على الرب وعلى مسيحه · » ثم أكمل تصويره لهذه النبوة بأن أوضح نوع الميتة التى سيموتها على لسان المخلص نفسه اذ قال فى المزمور ٢٢ : « والى تراب الموت تضعنى · لأنه قد أحاطت بى كلاب · جماعة من الأشرار اكتنفتنى · ثقبوا يدى ورجلى وأحصوا كل عظامى · اقتسموا ثيـابى بينهم وعلى لباسى ألقوا قرعة · » وحين يتكلم عن ثقب اليدين والرجلين فهل هناك غير الصليب يمكن أن تشير اليه هذه الكلمات ؟ وبعد أن علم بكل هذه الأمور أضاف ان الرب لم يتألم كل هذه الآلام عن نفسـه ولكن لأجلنا ، فهو يقول فى المزمور ٨٨ : « على استقر غضبك » كما يقول فى المزمور ٦٩ : « حينئـذ رددت الذى لم أخطفه » ذلك أنه لم يكن مضطرا الى أن يؤدى الحساب عن أى ذنب اقترفه ولكنه تألم من أجلنا وأخذ على

نفسه الغضب الموجه ضدنا بسبب تعدينا · وهذا بعينه ما أعلنه أشعياء النبى بقوله : « وهو مجروح لأجل معاصينا ·» وهذا كله يزداد ايضاحا بقول المرنم فى المزمور ١٣٨ : « على غضب أعدائى تمد يدك وتخلصنى يمينك · » مع أنه قد سبق فقال فى المزمور ٦٩ : « لأنه ينجى المسكين المستغيث اذ لا معين له · يشفق على المسكين والبائس ويخلص أنفس الفقراء · »·

٨ ـ وعلى هذا الأساس ينبىء المرتل بصعوده جسديا الى السماء فهو يتغنى فى المزمور ٢٤ : « ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم وارتفعى أيتها الأبواب الدهرية ليدخل ملك المجد · » ويردد هذه الحقيقة بعينها فى المزمور ٤٧ : « صعد الله بهتاف والرب بصوت البوق » ثم يعلن الجلوس عن يمين الآب فى المزمور ١١٠ اذ يترنم « قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك · » أما فى المزمور ٩ فيهتف جهارا بسقوط الشيطان الذى تحقق فعلا فنسمعه يقول : « جلست على الكرسى قاضيا عادلا · انتهرت الأمم · أهلكت الشرير·» كذلك لم يخف المرتل الحقيقة الواقعية وهى أن الابن أخذ كل السلطان للحكم من الآب ، ثم يعلن أنه آت ليدين الكل فيردد فى المزمور ٧٢ : « اللهم أعط أحكامك للملك وبرك لابن الملك· يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحق · » ولقد ردد هذه الكلمات بعد أن كان قد سبق فأعلن فى المزمور ٥٠ : « يدعو السموات والأرض الى مداينة شعبه ··· وتخبر السموات بعدله لأن الله هو الديان · » فى حين أننا نقرأ فى المزمور ٨٢ هذه الكلمات : « الله قائم فى مجمع الله · فى وسط الآلهة

يقضى · » واننا لنتعلم من المزامير عن نداء الله للأمم الا أن المزمور ٤٧ هو أكثرها وضوحا فيما يتعلق بهذا النداء اذ يهتف فيه المرنم : « يا جميع الأمم صفقوا بأيديكم · هللوا لله بصوت البوق · » بينما يعلن فى المزمور ٧٢ : « أمامه يجثو أهل البرية واعداؤه يلحسون التراب · ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة · ملوك شبا وسبا يقدمون هدية · ويسجد له كل الملوك وتتعبد له كل الأمم · » هذه الامور كلها تتغنى بها المزامير وهى قد أنبأت عنها كل الأسفار الالهية ·

٩ ـ ولكون الرجل الشيخ غير جاهل يعود فيقول : فى كل سفر من الكتاب المقدس تعلن الأمور نفسها بمختلف التعبيرات · فهذا التوافق سائد فيها كلها لأنها موحاة بالروح القدس · وكما أننا نستطيع فعلا أن نكتشف فى المزامير أمورا قد وردت فى الأسفار الأخرى هكذا الأمور الواردة فى هذا السفر موجودة فى الأخرى · فموسى يكتب ترنيمة · واشعياء يترنم · وحبقوق يصلى بالترنيم اذ يبدأ سفره بقوله : « صلاة لحبقوق النبى على الشجوية · » وفوق ذلك ففى كل كتاب من الأسفار المقدسة يمكن أن يجد القارىء نبوات وتشريعات وحكايات · لأن الروح الواحد هو فوق الجميع ، وفى كل حالة وتبعا للتناغم المعطى يحقق كل سفر النعمة الموهوبة له ويخدمها سواء بالتنبوء أو التشريع أو سرد التاريخ أو التغنى بالمزامير · وبما أنه الروح الواحد ذاته الذى تنبع منه كل المميزات وهو غير منقسم بطبيعته ، لهذا عينه فمن المؤكد أن

المجموع هو فى كل واحد ، وكما تحدد بالوحى فالاستعلانات والمميزات الممنوحة من الروح ملك الجميع وملك لكل واحد على حدة فى الوقت عينه · زد على ذلك فانه تبعا للحاجة المحفوظة يخدم كل واحد الكلمة وفقا لارشاد الروح القدس · لذلك ـ كما سبق أن قلت ـ نجد أن موسى وهو يشرع يتنبأ أحيانا ويترنم أخرى ، والأنبياء وهم يتنبأون يصدرون الأمر أحيانا اذ نقرأ هذه الكلمات : « اغتسلوا · تنقوا ··· اغسلى من الشر قلبك يا أورشليم » (أشعياء ١ : ١٦ ، أرميا ٤ : ١٤)، كما نقرأ قصة سوسنة العفيفة فى سفر دانيال · وعلى هذا النمط فسفر المزامير لكونه يتميز بروح الترتيل فهو يتغنى بتناسق فى سرده لما ورد من حوادث جاءت على شكل حكايات فى غيره من الأسفار · بل انه أحيانا يشرع اذ نسمعه يقول فى المزمور ٣٧ : « كف عن الغضب واترك السخط » ، وأيضا فى المزمور ٣٤ : « حد عن الشر واصنع الخير · اطلب السلام واتبعه » وفى بعض الأحيان تروى المزامير قصة اسرائيل وتتنبأ عن المخلص كما قلنا آنفا ·

١٠ ـ فلتكن هناك مثل هذه النعمة المشتركة التى للروح الواحد فى الكل ، ولتوجد هذه النعمة عينها فى كل واحد كلما استلزمتها الحاجة ورغب الروح فيها ، فالأكثر والأقل فيما يتعلق بهذه الحاجة لا يختلف ما دام كل يحقق خدمته ويكملها ·ومع ذلك فان لسفر المزامير نعمة خاصة به وتعبيرا دقيقا متميزا لأنه بالاضافة الى الأشياء الأخرى التى يتمتع

فيها بالتقارب والتآلف مع الأسفار الأخرى ، فانه يتسم فوق ذلك بهذا العجب الخاص به وهو أنه يتضمن حتى الانفعالات التى تختلج بهـا النفس كما يشمل التغييرات والتصحيحات التى تعتريها ، بل انه يحددها وينظمها · لهذا السبب فكل من يرغب فى أن ينال بغير حساب وأن يتفهم المزامير لكى يشكل نفسه بناء على هذا الفهم فانه يجد المجال متوفرا فيها · لأننا فى الأسـفار الأخـرى نسمع ما يجب أن نعمله وما يجب أن لا نعمله ، ونصغى الى الأنبياء لنكون على علم بحتمية مجىء المخلص · ونطالع التواريخ مستهدفين معرفة أعمال الملوك والقديسين · أما فى سـفر المزامير فالسامع لا يتعلم هـذه الأشـياء فحسب بل انه أيضا يتفهم ويتعلم منهـا انفعـالات النفس ، وبالتالى وعلى هذا الأسـاس يتعرف على ما يؤثر فيه وما يلزمه ، ويتمكن من أن تكون له الصورة التى ترسمها الكلمات ·

هنا نجـد أن الأنبـا أثناسيوس ـ تحت سـتار الرجـل الشيخ ـ يشير الى أن المزامير لها أثر ثلاثى : ١ ـ نتعلـم منها التاريخ والنبوات المتوفرة فى الأسفار الأخرى ، ٢ ـ تتهذب الانفعالات باستثارتها ثم بتنظيمها ، ٣ ـ ينبعث منها تفتـح ذهنى أعمق من مجرد الفهم فى بدايته أو بعبارة أخرى تبصر بالصورة الناتجة عن كلمات المزمور يجعل القـارىء يتناغم معها الى حد تصوره أنه هو المتكلم بالمزمور والعامل فيـه · لذلك فخلال الاستماع الى المزامير يتعلم الانسان أن لا يتجاهل الشهوة بل بالحرى يتحكم فيها وينال الشفاء منهـا عن طريق

الكلمات والأعمال · صحيح أن الأسفار الأخرى تتضمن النهى عن الشر ولكن هـذا السفر يقـدم الوسيلة التى بها يتمـكن الانسان من الامتناع عن الشر · ومن هذا القبيل أيضايتلقى الأمر بالتوبة · لأن التوبة هى الكف عن الخطية · وهنا تعطينا المزامير كيفية التوبة وماذا نقوله حين نشعر بالحاجـة الى التـوبة · فقد قال الرسـول : « ان الضيق ينشىء صبـرا · والصـبر تزكية · والتـزكية رجاء · والـرجاء لا يخـزى » (رومية ٥ : ٣ ـ ٥) · وفى المزامير مكتوب كيف يجب أن يحتمل الانسـان الضـيق ، وما يجب أن يقـال لانسـان فى التجارب ، وما هى كلمات أولئك الذين يترجون الله ، ثم ان هناك أمرا بأن نشكر الله فى كل حين (١ تسالونيكى ٥ : ١٨) بينما توضح لنا المزامير ما يجب أن نقوله حين نقدم الشكر · كذلك نسمع من الآخرين أن « جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقـوى فى المسيح يسـوع يضطهـدون » (٢ تيموثيئوس ٣ : ١٢) ، ونحن نتعلم من المزامير ما يجب أن تنادى بهونحن نهرب ، وما هى الكلمات الواجب رفعها نحو الله ونحن تحت الاضطهاد وبعد النجاة منه · كما أننا مطالبون · بأن نبـارك الله ونعترف باسمه فترشـدنا المزامير كيف نسـبح الله وبأية كلمات نستطيع الاعتراف بايماننا به بدقة · وكل واحد منـا على حدة يمكنه أن يجد التسابيح الالهية المناسبة له ولانفعالاته ولاتزانه ·

١١ ـ بعض المزامير ـ بمقارنتها ـ بالأسفار الأخرى ـ تتضمن مبادرة تجعل القارىء يتطابق مع الكلمات الى حد أنه يعتبرها كلماته شخصيا · لذلك يتأثر السامع حتى أعماقه ويصغى اليها كأنما هو يستمع الى نفسه وكأن الترانيم الملقاة على مسامعه ترانيمه الخاصة · فلا نخشى من تكرارها حرفيا · ومعظم كلمات الأسفار الالهية صادرة عن البطاركة ، وموسى كان يتكلم والله يجيب ، وكل من ايليا واليشع فى وقفته على جبل الكرمل كان ينادى على الله ثم يقول : « حى هو الرب الذى أنا واقف أمامه اليوم · » وأهم كلمات الأنبياء هى المختصة بالمخلص ثم ما يتعلق بالأمم وباسرائيل · ومع ذلك فليس هناك من يردد كلمات البطاركة كأنها كلماته ولا من يجرؤ على أن يقلد موسى بترديد أقواله · وهكذا مع بقية الآباء · ولو أحس أحدنا بحنان على المتألمين وشاء فى أية لحظة أن يتسامى فلن يتكلم أبدا كموسى حين قال لله « اكشف عن ذاتك لى » ، ولا أن يتفوه « والآن ان غفرت خطيتهم والا فامحنى من كتابك » !· صحيح أننا بقراءتنا الأسفار الالهية نردد كلماتها ولكننا لا نقولها على أنها كلماتنا بل نرددها ونحن على وعى بأنها كلمات القديسين · وأولئك الذين يتحدثون اليهم · ولكن العجب العجاب أن الذى يردد المزامير يقولها كأنها صادرة عن نفسه ، وكل واحد يترنم بها كأنها كتبت خصيصا له ، وهو يقبلها ويرتلها ليس كأن شخصا آخر يترنم بها ولا كأنها تتحدث عن شخص آخر ولكنه يستعملها كأنه يتكلم عن نفسه ، والكلمة مصاغة بأسلوب تجعله يرفعها الى

الله كأنه هو الذى فاه بها وسلك بموجبها · لأن المزامير تعبر بفهم عن ذاك الذى يحفظ وصايا الله وعن ذاك الذى يتعداها ، وما هو عمل كل منهما · وكل واحد منا محصور بين الاثنين وبوصفه حافظا الوصايا أو متعديا اياها يردد الكلمات التى تناسبه ·

١٢ ـ ويخيل لى أن هذه الكلمات تصبح كمرآة للانسان الذى يترنم بها لكى يبصر نفسه وانفعالاته واختلاجاته · وبالتالى يرددها تبعا لحاجته · اذ الواقع أن ذاك الذى يسمع يتقبل الترنيم كأنه عنه · وعند ذاك ان توبخ من ضميره واخترقته الكلمات فانه يندفع الى التوبة ، وان رن فى أذنيه الرجاء الكائن فى الله والمعونة المتوفرة للمؤمنين وأدرك أن هذه النعمة من حقه فانه يتهلل ويرفع الشكر لله · اذن فمن يتغنى بالمزمور الثالث « يا رب ما أكثر مضايقى ··· » فهو ـ بادراكه ما هو فيه من ضيق ـ يتخذ الكلمات على أنها صادرة عن أعماقه · وان تغنى بالمزمورين ١١ و ١٦ « على الرب توكلت ··· » و « احفظنى يا الله فانى عليك توكلت » فانه يطمئن الى أنه يعلن صلواته وثقته بالله · فى حين أن من يردد المزمور ٥١ يجد الكلمات مناسبة له ليعلن بها توبته · أما الذى ينشد مزمور ٥٤ : « اللهم باسمك خلصنى » و ٥٦ « ارحمنى يا الله لأن الانسان يتهمنى » و ٥٧ « ارحمنى يا الله ارحمنى » و ١٤٢ « بصوتى الى الرب صرخت » ـ الذى ينشد هذه المزامير لا يتمعن فى أن شخصا ما واقع تحت الاضطهاد بل انه هو نفسه المتألم وبالتالى يتأثر بما ينشد ، فيردد هذه

الكلمات رافعا بها نفسه نحو الله · وبالاجمال فكل مزمور صيغ وقيل بالروح لكيما بهـذه الكلمات عينها يمكننا الوعى بتيارات نفوسنا فيرددها كل منا على أنها خاصة به صادرة عنه تذكره بانفعالاته وتؤدبه فى حياته · لأن ما قاله أولئك المنشدون توجيه لنا ، وهم أيضا قدوة نسير بموجبها ومستوى نسعى نحـوه ·

١٣ ـ ولنذكر أيضا أن هـذه النعمـة عينهـا هى من المخلص ، لأنه حينما تأنس من أجلنا بذل جسده بالموت عنا لكى يعطينا جميعا العتق من الموت · ولرغبته فى أن يرينـا حياته السماوية المحيية قدم لنا نموذجها فى شخصه مستهدفا أن لا يتهاون البعض بحياته اتكالا على العربون فيقع بسهولة فى حبـائل العدو · وهـذا العربون هو انتصار فادينا على الشيطان من أجلنا · ولهذا السبب لم يكتف بتعليمنا وانما عاش تعليمنا لكيما كل من يسمعه يتـكلم يرى صورة الكلام أمامه فيتقبـل المخلص نموذجا لحيـاته اذ يسمعه يقـول : « تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب · » ولن يجد انسان نمـوذجا أسمى كمالا من هـذا · لأنه لو كان الأمـر متعلقا باحتمال الشر أو بمحبة الغير أو بالصلاح أو بالشجاعة أو بالتحنن أو بالسـير فى طريق العـدالة فاننا نجـدها كلهـا ـ وأكثر منها ـ متجسمة فيه · ولكون بولس الرسول على وعى بهذه الحقيقة قال : « كونوا متمثلين بى كما أنا أيضا فى المسيح · » فالمشرعون اليونانيون وفلاسفتهم عندهم لباقة جذابة ولكنها قاصرة على الكلام فقط ، أما ربنا فلأنه الرب

الحقيقى للجميع والمهتم بالجميع فقد عاش أعمال البر ولم يكتف بتشريع القوانين بل قدم نفسه نموذجا لكل الذين يبتغون معرفة القوة للعمل بها · وهو لهذا السبب عينه جعل المزامير تردد هذه الأصداء قبل حلوله فى وسطنا ، حتى أنه كما وهبنا نموذج الانسان الأرضى والسماوى معا فى شخصه المجيد كذلك يتعلم من يشاء من المزامير كل الانفعالات والاتجاهات النفسية ويجد فيها أيضا وسيلة الشفاء والتصحيح المناسبة لكل اتجاه وكل انفعال ·

١٤ ـ ولئن كان الموضوع يحتاج الى توضيح أقوى نقول ان كل الأسفار الالهية معلمة لحقائق الايمان ، بينما تحتوى المزامير ـ بطريقة ما ـ على الصورة الكاملة لمسار النفس فى الحياة · فكما أن الانسان الذى يدخل الى حضرة الملك يتخذ موقفا معينا فى وقفته وفى تعبيره لئلا يطرح خارجا ان هو تلفظ بألفاظ لا تليق بوصفه غير مهذب ، هكذا الذى يجرى فى سباق الفضيلة ويريد أن يعرف حياة المخلص بالجسد يتمكن من ذلك عن طريق المزامير · فهى التى تنبهه أولا الى انفعالات النفس بقراءتها ثم تقدم له بقية الأمور بالتتالى فتعلمه بواسطة هذه القراءة · ولكى يعرف الانسان هذا الواقع بأكثر دقة عليه أن يعرف بأن هناك مزامير وردت فى شكل حكاية وغيرها فى شكل توبيخ أدبى ، بينما البعض منها فى شكل نبوات والبعض الآخر فى شكل صلوات واعترافات · فالمزامير التى وردت بأسلوب الحكاية هى : ١٩ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٧ ،

١١٤ ، ١٢٧ ، ١٣٧ ، بينما الواردة **فى هيئة صلوات** هى : ١٧ ، ٦٨ ، ٩٠ ، ١٠٢ ، ١٣٢ ، ١٤٢ ، والتى قيلت بوصفها **طلبات وتضرعات وابتهالات هى :** ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٥٤ ـ ٥٧ ، ٥٩ ـ ٦١ ، ٦٤ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ٠ وثمة مزمور **للاستعطاف والشكر** معا وهو ١٣٩ فى حين أن التى لا تردد **غير الاستعطاف** هى ٣ ، ٢٦ ، ٦٩ ـ ٧١ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٠٩ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، والتى فى شكل **الاعتراف** هى : ٩ ، ٧٥ ، ٩٢ ، ١٠٥ ـ ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٨ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ٠ وهناك مزامير منسوجة من **الاعتراف والحكاية** وهى ٩ ، ٧٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٨ ، ١٣٨ ، بينما يجمع المزمور ١١١ بين الموضوعين السابقين وبين التسبيح ٠ ويعلن داود أن مزموره الثامن والثلاثين هو للتذكير ٠ وهنا يجب أن نذكر القارىء بأن الاعتراف فى المزامير ليس قاصرا على الاعتراف بالخطية بل يشمل **الاعتراف بمجد الله** ٠ أما المزامير الخاصة **بالتنبوء** فهى ٢١ ، ٢٢ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٧٦ ٠ ويجمع المزمور ١١٠ بين **الاعتراف والتنبوء** ٠ كذلك نجد مزامير تردد نغمة **الاستنهاض والتوجيه** ـ وهذه هى ٢٩ ، ٣٣ ، ٨١ ، ٩٥ ـ ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٤ ٠ ونجد مزمورا واحدا يجمع بين **التسبيح والتوبيخ** هو المزمور ١٤٩ ٠ **ولكن التسبيح** وحده قد ورد فى عدد كبير من المزامير هى ٩١ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٣٥ ، ١٤٥ ـ ١٤٨ ، ١٥٠ ـ فى حين أن أناشيد **الشكر** هى ٨ ، ٩ ، ١٨ ، ٣٤ ، ٤٦ ، ٦٣ ، ٧٧ ، ٨٥ ، ١١٥ ، ١١٦ ،

١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٤٤ . أما التى تعلن عن **الوعد بالبركة** فهى ١ ، ٣٢ ، ٤١ ، ١١٩ ، ١٢٨ . ويعبر المزمور ١٠٨ عن **الاستعداد الروحى المقدس** ، والمزمور ٨١ عن **بث الشجاعة** . والمزامير ٢ ، ١٤ ، ٣٦ ، ٥٢ ، ٥٣ توجه **الاتهام الى متعدى الناموس** والذين زاغوا عن الله . ويركز المزمور ٤ على **التضرع** ، فى حين أن المزمورين ٢٠ ، ٦٣ يوجهان التضرع لله مباشرة . وتحتوى المزامير ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٦٢ ، ٧٦ ، ٨٤ ، ٩٧ ، ٩٩ على **الافتخار بالله والاتكال عليه وعتابه فى آن واحد** . أما المزمور ٥٨ ، ٨٢ فيستثيران **الشعور بالخجل** ، بينما نجد المزمورين ٤٨ ، ٦٥ **فى قالب نشيدى** ، والمزمور ٦٩ ليس سوى **بهجة وتهليل** ، ويجاريه المزمور ١٠٠ .

١٥ ـ اذن فما دامت المزامير مرتبة بهذا الشكل أمكن كل قارىء أن يكتشف فى كل منها الاهتزازات والتوازنات المتناغمة مع نفسه ، كما يكتشف بالنسبة لكل منها نوعها وتعليمها ، ومن هذا الاكتشاف يمكنه أيضا أن يتعلم ما يقوله ليرضى الله وبأى نوع من التعبير يكفر عن نفسه ويقدم الشكر لله . وهذا كله لمنع الانسان من السقوط فى عدم مخافة الله . لأننا لن نقدم حسابا لله عن أعمالنا فقط بل أيضا عن كل كلمة نتفوه بها . وفوق ذلك فمتى شئت أن تبارك انسانا تتعلم كيف يجب أن تعمل وباسم من تبارك ، وما هى الألفاظ الواجب قولها . وهذا كله تجده فى المزامير ٣٢ ، ٤١ ، ١١٢ ، ١١٩ ، ١٢٨ . وان **رغبت فى أن تنتقد خيانة يهوذا**

ضد المخلص فاقرأ المزمور الثانى · وان كنت **مضطهدا** من قومك وقام عليك الكثير فردد المزمور الثالث · وحين **تزول ضيقاتك** بعد أن استجديت الله فاستجابك وودت أن ترفع الشكر فترنم بالمزمور الرابع واستكمله بالمزمورين ٧٥ ، ١١٥ · واذا ما لمحت الأشرار **وهم يحاولون التآمر عليك** وشئت أن يستمع الله الى صلاتك فتغنى بالمزمور الخامس فى الصباح المبكر · وان ومض أمامك **تهديد من الله** ووجدت نفسك مهتاجة لهذا الوميض فعليك الاستعانة بالمزمورالسادس وتلحقه بالمزمور ٣٨ · **ولو تشاور بعض الناس عليك** كما تشاور أخيتوفل على داود ، وأبلغك صديق بمشاورتهم فرتل المزمور السابع وضع اتكالك على الله الذى يدافع عنك ·

١٦ ــ وحينما **تتمعن فى نعمة الله المخلص الممتدة فى كل مكان** ، وتتطلع الى الناس الذين أنقذهم ، وتشتاق الى أن تتجه نحو الله فتغنى بالمزمور الثامن ، وتغنى به كذلك عند النظر الى كرمه للانسان وضم اليه المزمور ٨٤ · **أما اكراما للنصر على العدو** وحماية الخليقة ورغبة فى تقديم المجد لابن الله الذى حقق هذا كله فأنشد المزمور التاسع الموجه اليه · وكلما وجدت من يستفزك الى الغاية تمسك بجسارتك فى الله وتغنى بالمزمور العاشر · ومتى **رأيت تشامخ الجماهير** والشر المتفشى بينهم حتى لم يعد شيئا مقدسا فى أعينهم أهرب الى الرب كحصن وردد المزمور الثانى عشر · ولكن ان أصبحت الخيانة الآتية عليك من أعدائك مزمنة **فلا تسقط فى الاهمال زاعما ان الله قد نسيك** بل تضرع اليه مستغيثا بالمزمور الثالث

عشر · ولئن سمعت الناس يجدفون على عناية الله فلا تشترك معهم فى عدم تدينهم بل ردد المزمورين ١٤ ، ٥٢ موجها استنجادك الى الله · **ثم ان شئت أن تعرف ما نوع المواطن** الذى سيسكن ملكوت السموات فأنشد المزمور الخامس عشر ·

١٧ ـ ولنفترض أنك فى **موضع احتياج الى الصلاة بسبب مقاوميك المناصبين** لنفسك فاستعن بالمزامير ١٧ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ١٤١ · ولكن **ان شئت أن تتعلم كيف رفع موسى صلاته** فأمامك المزمور التسعون · ولقد **حفظك الله من اعدائك** وخلصك من مضطهديك فتسبيحا له أنشد المزمور الثامن عشر · **وعندما تتعجب من نظام الخليقة** ونعمة الرعاية الالهية لها والتعاليم المقدسة التى للشريعة فعبر عن عجبك بالمزمورين ١٩ ، ٢٤ · **وعندما ترى المتضايقين فشجعهم بالصلاة** بعبارات المزمور العشرين · **ومتى أحسست برعاية الله** وبقيادته اياك فى طريق الاستقامة فترنم بالمزمور الثالث والعشرين · ولنفترض مرة أخرى أن الأعداء محيطون بك **فارفع نفسك نحو الله** وردد المزمور الخامس والعشرين ، وهو الذى يجعل مؤامراتهم تتبدد كالفقاقيع فيستكينون ولا يملكون غير أيد أثمة طالبين تجريحك وايذاءك · **فلا تستأمن انسانا على مقاضاتهم** لأن كل ما هو انسانى مشبوه فيه ، واعتبر الله القاضى العادل لأنه هو المنصف وحده وردد المزامير ٢٦ ، ٣٥ ، ٤٣ · وان تكاثروا عليك وهاجموك بشراسة ساخرين منك كأنك لم تذق بعد نعمة الله (ولهذا السبب يشنون الحرب عليك) **فلا تستكن** فى ذعر بل رنم المزمور السابع والعشرين ·

ولكن بما أن الطبيعة الانسانية ضعيفة وقد يسلك المتآمرون بلا حياء فاصرخ الى الله لكى تستطيع عدم المبالاة بهم وردد المزمور الثامن والعشرين · وان شئت وأنت تقدم السبح لله **أن تتعلم ما هو ضرورى أن تقدمه لربك** بينما أنت تفكر روحيا فأنشد المزمور التاسع والعشرين · وبالاضافة فحين تهدف الى تكريس بيتك ـ أى النفس التى يتلقاها الرب والبيت الجسدى الذى تسكنه هذه النفس ـ ارفع الشكر بالمزمور الثلاثين واستكمله بالمزمور ١٢٧ (وهو أحد مزامير المصاعد) ·

١٨ ـ أما حين ترى أنك مهان ومرذول من كل أحبائك وأقربائك **لأجل** البر فلا تكف عن الاهتمام بهم وبنفسك · **وان رأيت معارفك يتحولون عنك فلا تجزع** بل أبعد نفسك عنهم وحول ذهنك الى المستقبل وترنم بالمزمور الحادى والثلاثين· ثم ان تأملت المصطبغين بالمعمودية فنالوا الفداء من مولدهم الفاسد **وامتلأ قلبك تعجبا من محبة الناس فرتل** أمام هؤلاء المغديين المزمور الثانى والثلاثين · كذلك ان شئت أن تغنى فى جماعة كثيرة من الأبرار المستقيمين فأنشد لهم المزمور الثالث والثلاثين · **وحينما تجد نفسك فى مواجهة أعدائك** ونجحت بحكمة أن تهرب منهم وتتجنب خيانتهم وودت أن تعبر عن امتنانك وتنادى على المترائفين فسبح بالمزمور الرابع والثلاثين فى حضورهم · ولو حدث أن لمحت شيئا من الشر بين المتعدين على الوصايا **فلا تزعم أن الشر من طبيعتهم** كما يؤكد المبتدعون بل ردد المزمور السابع والثلاثين فتدرك أنهم هم المسئولون عن

خطيتهم · وكرر المزمور نفسه ان رأيت أشخاصا تافهين يقترفون الكثير من الأعمال الشريرة ويتشامخون على المتواضعين ، فرغبت فى أن تنصح شخصا ما أن لا يكلف نفسه بخدمتهم ولا أن يعمل مثلهم لأنهم يتبخرون سريعا ·

وجدير بنا أن نعرف أن نصيحة الأنبا أثناسيوس هنا تركز على تقليد طال فيه الجدال مؤداه النشاط الأدبى الحر الذى يتمتع به الانسان العاقل · ومقابل مؤامرات الفلاسفة المنادية بحتمية المصير الانسانى المستهدفة تقويض السعى المسيحى نحو الكمال أكد المدافعون المسيحيون أهمية حرية الاختيار · ولمقاومة العقيدة المزعومة التى نادى بها بعض الغنوسيين وهى أن الانسان ذو طبيعة مسبقة التحديد تملى عليه مستوى سلوكه وامكانيته الروحية ـ لمقاومة تلك العقيدة استجمع ايريناوس وأوريجانوس وغيرهما كل الأدلة المنطقية وأكدوا على حرية الاختيار الأدبى عند المخلوق العاقل ·وكان توكيدهم قويا الى حد أنه فى القرن الرابع أصبح مبدأ حرية الاختيار ثابتا لاهوتيا وانسانيا · وهذا ما يوضحه البابا أثناسيوس فى نصيحته الأخيرة ·

١٩ ـ ثم انك أنت أيضا ان تفكرت أن تنتبه لنفسك ، وان وجدت العدو يهاجمك ـ لأنه فى مثل هذه الحالات يضاعف هجومه ـ **واستهدفت تحصين نفسك** لمعاركته فردد المزمور التاسع والثلاثين · ولو حدث أنك حين يركز العدو عليك **أردت أن تتعلم مزايا الاحتمال** فترنم بالمزمور الأربعين · ولكن

متى رأيت الكثير من الناس فى فقر وعوز وأردت أن تعاملهم بالرأفة فتستطيع ذلك بترديدك المزمور الحادى والأربعين اذ تمتدح أولئك الذين أبدوا الرحمة وتستحث غيرهم على العمل مثلهم · ولأن قلبك ممتلىء رغبة عظيمة فى الله وسمعت تعبيرات خصومك فلا تقلق لأنك تعلم تماما الثمار غير المائتة لهذه الرغبة **فشدد نفسك برجائك الذى ألقيته على الله** · وبهذا الرجاء المدعم للنفس والمعزى لها فى حزنها رتل المزمور الثانى والأربعين · **ولشدة رغبتك فى أن تتذكر مراحم الله** للآباء وعنايته بهم فى البرية ، ولادراكك بصلاحه رغم جحود الانسان كرر المزامير ٤٤ ، ٧٨ ، ٨٩ ، ١٠٥ ـ ١٠٧ ، ١١٤ · **أما حين تهرب الى الله وتجد حمايته لك من** الضيقات الحادثة حولك وشئت أن تشكره وتحاول احصاء مراحمه فتغنى بالمزمور السادس والأربعين ·

٢٠ ـ ولكنك ـ مع كل جهادك ـ **أخطأت ، ولاحساسك بالخجل تبت** وطلبت أن تجد رحمة ، فستجد ألفاظ الاعتراف والتوبة فى المزمور الحادى والخمسين · **وحتى ان توجعت من افتراء الحاكم الظالم** ، ورأيت المفترى يتفاخر ، فانسحب من ذلك المكان وتفوه بكلمات المزمور الثانى والخمسين · **ولئن طاردك الأعداء** ، وتقول بعض المفترين عليك راغبين فى تسليمك الى القضاء ، فلا تستسلم للسأم ، بل فى ثقة تامة وتسبيح لله أنشد المزمورين ٥٤ ، ٥٦ · **وحتى ان وصل اليك هؤلاء المفترون** ، ودخلوا على غير علم منهم المغارة التى أنت مختبىء فيها ، فلا تفزع فى رعدة لأن لديك وسط هذه الضيقة

تلك الكلمات الخالدة المكتوبة للتشجيع فى المزمور ١١٥،٥٧ **ولو حدث أن المتآمر عليك أمر بوضع بيتك تحت المراقبة** وتمكنت من الهرب ، فعبر عن عرفانك لله واحفره على قلبك كما على تمثال ، لأنه تذكرة لكونك نجوت من الهلاك وردد المزمور التاسع والخمسين · **وان كال لك الأعداء الشتائم والسخرية**، وقام عليك من كنت تظنهم أصدقاء ، وصوبوا اتهاماتهم اليك، فاضطربت خلال تأملاتك ولو لفترة ، فانك رغم هذا تستطيع أن تجد العزاء فتسبح لله متغنيا بالمزمور الخامس والخمسين· ثم ترنم بالمزمور الثامن والخمسين **لتخجيل المدعين والمتفاخرين بالسطحيات** · أما مقابل المتدافعين بشراسة ضدك رغبة منهم بالظفر بنفسك ، **فسلم طاعتك لله وردد** كلمات المزمور الثانى والستين · **ثم ان اضطررت تحت ضغط الاضطهاد أن تهرب الى الصحراء** فلا تخف كأنك وحدك ، بل ممتلكا الله هناك استيقظ قبل الفجر وسبح بالمزمور الثالث والستين · وحينما **يخيفك الأعداء** ولا يكفون عن مناصبتك باحثين عنك فى كل مكان فلا تستسلم حتى ان كانوا كثيرى العدد ، ورتل المزامير ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧١ ·

٢١ ـ **وكلما أردت أن تحتفى بالله بالغناء** فرنم المزمور السادس والستين ، وكرره أيضا ان شئت ان تعلم البعض عن القيامة · وبترديدك المزمور السابع والستين **تسبح الله وتسترحمه فى آن واحد** · **ثم عند رؤيتك تعظم الأشرار** وما يعيشون فيه من سلام بينما يتألم الصالحون ويعيشون فى ضيق تذكر المزمور الثالث والسبعين لئلا تزل قدماك وتهتز

حتى الأساسات · **وكلما احتدم غضب الله على الشعب** فانك تجد العزاء فى المزمور الرابع والستين لما فيه من كلمات الحكمة · **أما متى أحسست بالحاجة الى التوبة والاعتراف** بخطاياك فردد المزامير ٩ ، ٧٥ ، ٩٢ ، ١٠٥ ـ ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٨ ، ١٣٦ ، ١٣٨ · **فاذا ما هدفت الى تخجيل المبتدعين المتباعدين** عن الرب لأن معرفة الله لا تسكن فى أحدهم وانما تسكن فى الكنيسة الجامعة وحدها يمكنك ان شئت أن تتغنى بالمزمور السادس والسبعين · ولكن **حين يقطع عليك الأعداء الطريق الى الهرب** ، حتى ان كنت فى ضيقة كبرى ، وأصابك الاضطراب فلا تيأس بل صل · وعندما يسمع الله صوتك قدم له الشكر بترديد المزمور السابع والسبعين · **فان حدث أن أعاد الأعداء الكرة** ، واستمروا فى هجومهم ، مدنسين بيت الله وقاتلين القديسين ، طارحين أجسادهم للجوارح ، فلكى لا تنكمش وتنغلق على نفسك أمام قسوتهم يجب أن تتعاطف مع المتألمين وتوجه استنجادك نحو الله مرددا المزمور ٧٩ ·

٢٢ ـ **ورغبة منك فى تسبيح الله بمناسبة عيد ما** فناد خدام الله وترنموا جميعا معا بالمزمورين ٨١ ، ٩٥ · **ومرة أخرى ان تجمع الأعداء من مختلف الجهات** وأصدروا تهديداتهم ضد بيت الله ، وفى الوقت عينه تكتلوا ضد الدين الحقيقى ، فأنتبه لئلا ينتابك الفشل أمام جمهرتهم وقوتهم لأنك تمتلك مرساة الرجاء فى آيات المزمور الثالث والثمانين · وبرؤيتك بيت الله ومظاله الأبدية ، **ان تملكتك الغيرة** عليها كما قال الرسول فرتل المزمور الرابع والثمانين · **وبعد أن يهدأ الغضب**

وينتهى السبى ، وشئت أن ترفع الشكر تجده فى كلمات المزمورين ٨٥ ، ٢٦ · بعد ذلك **ان راق لك أن تعرف كمال الكنيسة الجامعة** وفوق هذا **ان عزمت على أن تملأ نفسك جرأة** وتجعل الآخرين مطمئنين الى العبادة الحقيقية مدركين أن الرجاء بالله يحمى من العيب ويثبت النفس فقدم التسبيح بالمزمور ٩١ · ثم ـ **هل ترغب فى أن تسبح بالألحان يوم الأحد ؟ ـ ان** رغبت فتغنى بالمزمور الثانى والتسعين ·

٢٣ ـ **أتجد من اللائق تقديم الشكر فى يوم الرب ؟** اذن ترنم بالمزمور الرابع والعشرين ، واستكمل تسابيحك فى اليوم الذى يليه بترديد المزمور الثامن والأربعين · **هل تبتغى أن تمجد الله فى يوم الاستعداد ؟ ان** مثل هذا التمجيد فى المزمور الثالث والتسعين لأنه فى تلك الساعة تم فيها الصلب فأقيم الهيكل فعلا ليباعد الأعداء المهاجمين · وبسبب هذا النصر **يليق أن نتغنى بمراحم الله** مستعينين بالمزمور عينه ومستكملينه بالمزمور السبعين · **ولو حدث أن وقعنا فعلا فى السبى وانهدم** بيت الله ، ثم أعيد بناؤه ، فلنترنم بالمزمور السادس والتسعين· **فاذا ما استعاد المدافعون البلاد** وسيطر عليها الهدوء لأن الرب ملك ، وأردت أن تعبر عن تسبيحاتك على ذلك فاستعن بالمزمور السابع والتسعين · **ثم ان شئت أن تترنم فى اليوم الرابع من الأسبوع** فستجد المزمور الرابع والتسعين مناسبا · لأنه فى ذلك الوقت بدأ الرب يتشدد فى النقمة حاكما بالموت عقابا ، ويعلن ذاته بألفاظ جريئة صريحة · لهذا السبب فحينما تقرأ الانجيل ترى اليهود يتشاورون فى اليوم الرابع من الأسبوع

على الرب وتبصره آنذاك يتحدث علانية عن معاقبة الشيطان من أجلنا · حينذاك ردد الكلمات المعبرة عن هـذه الحـوادث فى المزمور الرابع والتسعين أيضا · كذلك **برؤيتك عناية الله** وولايته على كل الأشـياء ، ورغبة منـك فى أن تعلم بعض النـاس الطاعة والثقـة بالله واقناعهم بالجهر بايمانهم رتل أمامهم المزمور المئة · **وبعد أن تعرف سلطان الله للقضاء** ، وأنه هو الذى يتخذ القرارات ملطفا الحكم بالرحمة ، وتشـاء أن تقترب اليه معلنا له عرفانك فتغنى بالمزمور المئة والواحد لهـذا الغرض ·

٢٤ ـ على أنه بما أن طبيعتنا ضـعيفة ، واذا حدث أن أصبحت كالشحاذ بسبب ضيقات الحياة ، **وان كنت مرهقـا أحيانا وتشتاق الى أن تنال الشجاعة** فأمامك المزمور ١٠٢ · وما دام أنه من اللائق أن نقدم السبح لله فى كل حال وخلال كل حال **وشئت ن تستودع أمرك فى يديه** ، يجب أن تستنهض نفسك الى الأمام بترديدك المزمورين ١٠٣ ، ١٠٤ · **فهـل** تشاء أن تقدم تسبيحك وأن تعرف كيف تعبر عنه ولمن ترفعه وما هى الكلمات اللائقة لذلك ؟ عليك اذن أن تنشد المزامير ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٣٥ ، ١٤٦ ، ١٥٠ أعندك ايمان كما قال الرب؟ **ومتى صليت اتؤمن بما تقوله ؟** ان كنت كذلك فترنم بالمزمور المئة والسادس عشر·**وبعد ذلك هل ترىأن نفسك تتقدمفى الأعمال** حتى أنك تستطيع أن تقول عن يقين « أنسى ما هو وراء وأمتد الى ما هـو قدام » ؟ اذن فعبر عن عـرفانك لله لكل خطـوة

تخطوها الى الأمام بترتيلك الخمس عشرة أنشودة الموصوفة بمزامير المصاعد وهى ١٢٠ ـ ١٣٤ ٠

٢٥ ـ **ان كانت الأفكار الاجنبية تخلبك فوجدت نفسك مأخوذا بحبائلها ثم غمرك الندم وعولت على مقاومتها** رغم أنك تعيش بين أولئك الذين أغروك ٠ فاجلس فى سكون وردد بنغم الحزن المزمور ١٣٧ ٠ ومتى اعتبرت التجارب اختبارا لك وأردت أن تشكر الله بعد اجتيازها فترنم بالمزمور ١٣٩ ٠ ولكنك قد تجد نفسك بعد ذلك محاصرا من الأعداء مرة أخرى ـ **فهل تريد من ينجيك ؟ اذن** رتل المزمور المئة والأربعين ٠ أتريد بعد ذلك أن تدعم استنجادك بالصلاة والتضرع ؟ استكمله بالمزمورين ٥ ، ١٤٢ ٠ **ولئن قام عليك بعد هذا كله عدو مستبد** ضايقك وضايق الشعب كله فلا تخف ولا ترتعد بل شدد ايمانك ودعم نفسك بالمزمور ١٤٣ ٠ **وحين يغمرك العجب من عناية الله فى كل شىء** وتستذكر صلاحه الذى غمرك به أنت وجميع الشعب وتلهفت الى تقديم المديح لله فتغنى بالمزمور ١٤٤ واستكمل المديح بالمزمورين ٩٢ ، ٩٧ ٠ ولو أنه حدث أن اختاروك لوظيفة حكومية فلا تتعظم على اخوتك **عالما أن ما نلته هو من الله** ، لذلك مجده وأنشد المزامير ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١١ ـ ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٦ ـ ١٥٠ ٠

٢٦ ـ **وحين تخلو الى نفسك داخل مخدعك وتشتاق الى الترنم بالأحداث الخاصة بالمخلص** فستجدها فى كل مزمور تقريبا وعلى الأخص فى المزمورين ٤٥ ، ١١٠ اللذين

يوضـــحان **ولادته الأزلية من الآب ثم ظهـوره فى الجسـد** · وسـتجد ـ متى تمعنت ـ أن المزمـورين ٤٢ ، ٦٨ يتحدثان **عن الصليب وعن الخيانة المريعة** التى تحملها سيدنا من أجلنا، فى حين أن المزمورين ٢٨ ، ١٠٩ يشيران الى **مؤامرات اليهود وشرورهم** وخيانة يهـوذا الاسخريوطى ، بينما تعلن المزامير ٢١ ، ٥٠ ، ٧٢ **ملـكيته وسلطانه القضائى** ، وكذلك ظهـوره بالجسـد ونداءه الأمم ، **وترى القيـامة حقيقـة فى المزمـور** السادس عشر · واذا ما طالعت المزمورين ٢٤ ، ٤٧ **فسترى** أنهما يحملان **التنبوء بصعوده الى السموات** ، ثم **تتفهم من** المزامير ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ كل العطايا التى اكتسبها لنـا المخلص بآلامه المحيية ·

٢٧ ـ تلك اذن هى سمة المعونة التى ظفر بها النـاس من المزامير · وجدير بنا أن نعرف لمـاذا تقال المزامير بالنغم والألحان · لأن بعض البسطاء بيننا ـ مع ايمانهم بأن كلماتها موحاة بالروح القدس ـ يزعمون رغم ذلك أن حلاوة النغـم هى لبهجـة الأذن · ولكن هذا غير صـحيح · لأن الأسفار الالهية لا تستهدف العذب الممتع ، وانما هدفها الأساسى هـو افادة النفس أما الأهداف الأخرى فأهمها اثنان : أ ـ انه من اللائق بالأسفار الالهية تسبيح الله ليس بالكلام المحدد فقط بل أيضا باللحن المتسع · وما تحتويه من كلمات مترابطة معا فى تدرج دقيق وبأسلوب هادف هو الوسيلة التى يستطيع بها الناس أن يحبوا الله بكل قوتهم وكل امكانياتهم · ب ـ وكما

أن التناسق بين القيثارات يجعلها تؤدى نغما واحدا متماسكا هكذا النفس تظهر داخلها حركات مختلفة ، ففيها قوة المنطق والشهوة الملتهبة والانفعالات العـارمة ، وعنها تصدر أنشطة الجسم · فالمنطق يأبى أن يوجد نشـاز داخلى وتعارض بين الانسان وبين نفسه · لذلك كانت أسمى الأعمال هى الصادرة عن المنطق الذهنى ، وأحطها تلك الصادرة عن الرغبة كما كان موقف بيلاطس الذى قال أنا لا أجد فيه علة واحدة ثم أسلمه لليهـود ·

٢٨ ـ وتجنبا لحـدوث مثـل هذا التشـويش داخلنـا يستهدف المنطق أن النفس التى تمتلك فكر السيد المسيح (كما قال الرسول) تسير تحت قيادة هذا الفكر ، وبواسطته تسيطر على الشهوات وتتحكم فى أعضاء الجسد وبذلك تخضعهـا للمنطق · فكما أنه فى الموسيقى تتناغم الألحان هكذا الانسان اذا ما اعتبر نفسه آلة موسيقية وكرس نفسه تماما للـروح يستطيع أن يطيع بكل أعضائه وانفعالاته ويخدم ارادة الله · فالقراءة الملحنة للمزامير هى شكل ومثال لمثل هذا التوازن الهادىء غير المتزعزع لأفكارنا · لأنه كما أننا نكتشف أفكار النفس ونفصح عنها بالألفاظ ، هكذا الرب اذ أراد أن تكون ألحـان الكلمات رمزا للتنـاسق الروحى فى النفس أمر بأن المزامير تنشد بنغمات وتقال كأغنية · فرغبة النفس هى هذه: أن تـكون مدبرة بالجمـال كما هـو مكتوب « أمسرور أحـد فليرتل » · وبهذا الترتيل ينصقل كل ما هو خشن ومقلق كما يندمل كل جرح : « لمـاذا أنت حزينة يا نفسى ولمـاذا تقلقينى»؟

هكذا يتساءل المزمور ويجيب : « توكلى على الله فانى أعترف له · خلاص وجهى هو الهى · » وحين يترنم الانسان باتكاله على الله يكتشف مواقع الزلل : « لولا قليل لزلقت خطواتى ··· الى أن دخلت هيكل الرب » (مزمور ٧٣) ، وهكذا ينال القوة حيث الخوف ·

٢٩ ـ ان أولئك الذين لا يرددون الأغانى المقدسة بهذه الطريقة لا يتغنون بها بحكمة · وقد يتلذذون بها أنفسهم ومع ذلك يستحقون اللوم لأن أغنية التسبيح غير لائقة على شفتى الخاطىء · ومن لا يهدف غير التلذذ الشخصى خاطىء · أما حينما تصدر الكلمات المرتلة من أعماق نفس صالحة ، ومن تناغم متوافق مع الروح فان المرتل مع كونه يغنى بلسانه الا أن غناءه بالفكر أيضا وبالتالى ينفع المنصتين اليه · فالمغبوط داود بابتكاره الألحان العذبة من أجل شاول أرضى الله كل الرضى وطارد عن نفس شاول النزعة الجنونية المقلقة مهدئا اياه · والكهنة متى ترنموا كداود يستدرجون نفوس الناس الى الهدوء وينادون عليهم بالاجماع للاشتراك مع الجوقة السماوية · لذلك فالمزامير تلحن لا للرغبة فى نشيد عذب بل لتعكس انسجام التأملات النفسية · وليس من شك فى أن القراءة المرتلة هى رمز للعقل ذى التنظيم المنسق غير المشوش · وفوق ذلك فتسبيح الله بالألحان المتناغمة هو أيضا صورة ومثال لأعضاء الجسم فى عملها المتناسق ، ولأفكار النفس التى تتحول الى قيثارة · واذ تعيش الأعضاء الجسدية والأفكار النفسية وتتحرك خلال الألحان العظمى تحت توجيه

الروح القدس يتحقق قول الكتاب ان الانسان الذى يحيـــا بالروح يميت أعمال الجسد (رومية ٨ : ١٣) · لأنه بغنائه التسابيح هذا الغناء الجميل يدخل التوازن على نفسه ويسير بها من اللا متناسب الى المتناسب والنتيجة لهذا التـوازن أن تترسـخ طبيعته فلا تعـود تخاف بل تحـول خيـالها الى الايجابيات متطلعة دوما الى ما هو أكثر صلاحا ·

٣٠ ـ والآن يا بنى يجب على كل من يقرأ هذا الكتاب ان يقرأه بأكمله لأنه حقا قد صدرت كل آياته عن الروح القدس· والقارىء هنا أشبه بمن هو فى حديقة ملآنة بالثمار الشهية· انه يتأملها فى جملتها ويستمتع بها · لأننى على يقين من أن كل الوجود الانسانى من نزعة نفسية ومن حركة فكرية قد قاستها وأحاطت بها تلك الألفاظ عينها التى وردت فى المزامير· لأنه متى كانت هناك ضرورة للتوبة أو الاعتراف ، أو جازت على الانســان الضيقات والتجارب ، أو حيكت المؤامرات من البعض ضد غيـرهم ، أو عصفت الاضطهادات ـ ففيها كلها برزت عناية الله · كذلك متى أصاب الانسان حزن أو ألم أو مطاردة من الأعداء ـ فمن خلالها يحس بالنجدة الالهيـة · وهذا كله نطالعه فى المزامير · فلينتخب كل واحد ما يجـده مناسبا لظـروفه ويترنم به ، واذا ما تأثرت نفســه فليرفـع التسبيح لله ·

٣١ ـ **لا تسمح لأحد بأن يزيد على كلمات المزامير** ألفاظا عالمية خلابة ، ولا تدعه **يصوغها فى قالب جديد · بل بالحرى**

اجعله يرددها ويتغنى بها من غير « تزويق » كما وردت تماما، حتى اذا مه سمعها القديسون الذين كتبوها ـ بادراكهم أنها صدرت عنهم ـ يشتركون معك فى الصلاة · والأهم من هذا أن الروح القدس الناطق فى القديسين اذ يسمع الكلمات التى أوحى بها اليهم يعاوننا فى تسابيحنا · لأنه بمقدار ما تعلو حياة القديسين عن حياة الآخرين ـ بهذا المقدار تعلو تعبيراتهم عما نكتبه نحن ، فهم بالتالى يعبرون عن الحق بصيغة أقوى· وهم قد أرضوا الله ارضاء عظيما بهذه المزامير وبترديدها على حد قول الرسول : « قهروا ممالك · صنعوا برا · نالوا مواعيد · سدوا أفواه أسود · أطفأوا قوة النار · نجوا من حد السيف · تقووا من ضعف صاروا أشداء فى الحرب · هزموا جيوش غرباء · أخذت نساء أمواتهن بقيامة · » (عبرانيين ١١ : ٣٣ ـ ٣٥) ·

٣٢ ـ اذن بترديد الكلمات عينها حتى الآن فليكن كل شخص واثقا من أن الله يصغى سريعا لأولئك الذين يرفعون التضرعات بالمزامير · فان كان المترنم فى ضيق ساعة ترديدها فانه يعتبرها وسيلة كبرى لتشجيعه وادخال الراحةعلى نفسه· وان كان فى تجربة أو تحت اضطهاد فستبرز فضائله خلالها ويحس بحماية الله التى أبداها لذاك الذى كتب المزمور أصلا· وبهذه المزامير سينسحق الشيطان وتطرد الأرواح الشريرة· وبترتيله ـ ان كان قد أخطأ ـ سيوبخ نفسه ويكف عما اقترفه ، وان كان لم يخطىء فسيجد نفسه متهللا ، ويجاهد ليمتد الى الأمام ويصارع لينال المكافأة ، ويتشدد حين يرنم ،

فلا يتزعزع عن الحق أبدا ، بل انه يقتاد الخادعين الى التغيير · ومثل هذا لا يكون ضمينه انسان وانما ضمانه فى الأسفار الالهية · فالله أمر موسى أن يكتب التسبحة العظمى ويعلمها للشعب (تثنية ٣١ : ١٩) ، وهو يأمر ذاك الذى أقيم واليا على الشعب أن يكتب سفر التثنية ويمسكه بيده ويلهمه بضمونه الى الأبد (تثنية ١٧ : ١٨ ـ ١٥) · لأن الكلمات الواردة فى هذا السفر تستنهض الفكر الى الفضيلة وتأتى بالنجدة الى أولئك الذين يخلصون فى طاعتها · فمثلا فى الوقت الذى دخل فيه يشوع الأرض رأى استعداد الأموريين للقتال وتجمعاتهم ، وفى مواجهة الخيام والسيوف قرأ سفر التثنية على كل المسامع ، مسترجعا كلام الناموس الى الذاكرة ومسلحا الشعب بها ، فانتصر على أعدائه · والملك يوشيا ـ عند اكتشاف سفر الشريعة وقراءته على كل الشعب ـ لم يعد يخاف العدو · وفى أية مرة حدث حرب كان تابوت العهد المحتوى على الوصايا يسير أمام الشعب ويقدم المساعدة الكافية ضد كل جيش · وكان وجوده فعالا دائما ما عدا فى حالة تفشى الشر والرياء لأنه يجب أن تكون وجهة الانسان نحو الايمان والولاء له لكى يعمل الناموس من خلال صلواته ·

٣٣ ـ قال الرجل الشيخ : بالحقيقة قد سمعت من بعض الحكماء كيف أنهم كانوا فى اسرائيل قديما يطردون الشياطين ويقهرون الخيانات بمجرد قراءة الأسفار الالهية · لهذا السبب حق القضاء على من يتركونها ويبتدعون جملا تهدف

الى الاستهواء على النمط الوثنى وبالتالى يطلقون على أنفسهم « مخرجى الشياطين » · انهم يتمادون فى العبث فيعرضون أنفسهم لسخرية هؤلاء الشياطين كما حدث لأولاد سكاوا (أعمال ١٩ : ١٤ ـ ١٦) · فحين سمع الشياطين هذه الألفاظ صادرة عن مثل هؤلاء الرجال بدأوا يعبثون بهم، ولكنهم كانوا يرتعدون من كلمات القديسين بل لم يكونوا يستطيعون احتمالهم لأن الرب موجود فى كلمات الأسفار الالهية ، وبما أنهم لا يمكنهم الوقوف أمامه فانهم يصرخون : « أجئت الى هنا قبل الوقت لتعذبنا ؟ » لأنهم ـ اذ رأوا الرب حاضرا ـ احترقوا · هكذا كان بولس يأمر الأرواح الشريرة وهكذا خضع الشياطين لجميع الرسل ، وكانت يد الرب على اليشع النبى فتنبأ عن المياه للملوك الثلاثة (٢ ملوك ٣ : ١٥) حين لعب العواد على العود حسب أمر الرب · هكذا الآن ان كان هناك من يهمه أمر المتألمين وردد هذه الأمور بنفسه فانه ينفع المتألم نفعا كبيرا ، ويوضح ايمانه على أنه صحيح ثابت · وينتج عن هذا أن الله متى رأى ايمانه يمنح المريض الشفاء المطلوب ·ولمعرفته هذه الحقيقة قال الرجل البار : « ونظرت الى كل وصاياك ولن أنسى كلماتك ··· ترنيمات صارت لى فرائضك فى بيت غربتى ·· لو لم تكن شريعتك لذتى لهلكت حينئذ فى مذلتى » (مزمور ١١٩ : ٢٦ ، ٥٤ ، ٩٢) · ولهذا السبب عينه شدد بولس تلاميذه بهذه الأمور قائلا : « اهتم بهذا · كن فيه لكى يكون تقدمك ظاهرا فى كل شىء » (١ تيموثاوس ٤ : ١٥) · وأنت أيضا متى اهتممت بهذه الأمور وتغنيت بالمزامير بفهم ستستطيع أن تدرك المعنى فى كل منها بارشاد الروح القدس ، وتتعمق نوع الحياة القدسية المليئة بخوف الله التى كانت لأولئك الناس الذين نطقوا بهذه الكلمات ـ هذه الحياة عينها عليك أن تتمثل بها ·

خاتمـــة

ان من يقـرأ التفسير الذى يقدمه الأنبـا اثناسيوس عن المزاميـر فى شىء من التمعن ليشعر بالاعجاب يتزايد نحـو شخصية هـذا البـابا اذ يزداد ادراكا لمدى تعمقه الأسـفار الالهية · والدرس الذى يلقيه علينا ليس مجرد النصيحة التى قدمها لمـارسللينوس ولكنه يتضمن عدة تعاليم ذات أهميـة كبيرة خصوصا لأهل هذا العصر ·

والتعليـم الأول الذى يلقنـــه ايانا حـــامى الايمـــان القـــويم هـو أن الكتاب المقـدس ـ بكل أسـفاره ـ مترابط متماسـك · فيجب على من يهـدف الى تفهمـه أن يقـرأه ككل ثـم يسـتعين بتفسـير الآباء ليـزداد فهمـا لهـذا الترابط العجيب · وهذا الدرس لوحدة الأسفار فيما تستهدفه هام لكل من يخطر على باله أن يفسر الكتاب آية آية · فهناك آيات تنقلب معناها تماما بهذا « التفصيص » ـ فمثلا يقـول بولس الرسـول ان « ملـكوت الله ليس اكلا وشربا بل هو بر وسلام » (رومية ١٤ : ١٧) · ويحلو لمن يشرحون كل آية على حدة أن يزعموا أن هذه الآية تلغى الصوم ! فهم لا يلتفون الى ما قيل قبلها أو بعدها ولا لمن قيلت ولا لأية مناسبة قيلت · فلماذا لم يقل القديس بولس هذه الكلمات لغير أهل رومية ؟ ولمـاذا أوصى هؤلاء الناس بعد هذه الكلمات بقليل ـ أى فى

بداية الأصحاح الخامس عشر ـ بقوله : « يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعف الضعفاء » ؟ لأنه كبناء حكيم يريد أن يتسامى بالرومانيين الى الكمال المسيحى وهم فى بداية الطريق · فكان منهم الضعيف فى الايمان ومنهم القوى فأخذ يتدرج معهم خطوة خطوة فى ما يجب أن يقوم من تعاون معهم ·

وثمة نقطة ثانية تثير انتباهنا بصفة خاصة اذ يستهل الأنبا أثناسيوس الرسولى الفقرة ٢٥ بهذه الكلمات : « ان كانت الأفكار الأجنبية تخلبك ··· » وكأنه فى هذا التوبيخ يتحدث الينا فى هذا العصر لأن الكثيرين منا « تخلبهم الأفكار الأجنبية» فيتناسون فى سبيلها تعاليم الآباء ! ونظرة الى أبنيتنا المخصصة للعبادة ، ونظرة الى ما تزدان به من « ايقونات » ـ نظرة واحدة تكفى لأن توضح لنا الى أى مدى « خلبتنا الأفكار الأجنبية » !·

وبعد ـ فقد أرشدنا هذا البابا الاسكندرى العظيم الى وسيلة كبرى نحصن بها نفوسنا وقت الضيق الشديد ونتهلل بها وقت الفرج فجدير بنا أن نصغى الى ارشاده ونعمل به ·

✠

يطلب من كنيسة السيدة العـذراء
بالفجـالة